مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٩/٥/١٥

١٥ مايـو ثـــورة

غـيرت وجـه الحيـــاة فى مصر

ليس ثمة شك ان ايامهمايو عام ١٩٧١ التى شهدت سقوط مجموعة الورثة التى عرفـــت باسم مراكز القـــوى ،كان لهـــا تاثير عميـــق على القوات المسلحـــة المصرية ، بليمكن القول ان جيشا مصريا جديدا قد ولد بعد هذه الايام مستندا على دعائم من العـــلم العســـكرى والكفاءة والاهم مستندا على اســـتراتيجية سياسية عليا واضـــحة واستراتيجية عسكرية محددة .

جيـــش مصـــــرى جـــديد ولـــد بعـــد ١٥ مايـــو مع دعائم من العـلم العسـكرى ليحقق نصر أكتـوبر العظـيم

وهناك كلمة حق يجب ان تقال ، ان جيش مصر بدا شبه عقيم الى الافضل بعد هزيمة يونيه عام ١٩٦٧ ، وبعد ادراك الجميع أن هذه الهزيمة ما هى الا حصاد السنوات الـ ١٥ التى سبقت ايام يونيه الحزينة ، ولكن ظل العلاج قاصرا ، فالحاكم اضعف من ان يتخذ قرارا بالحرب ، والمجموعة المحيطة به ، ورثة جيل ٢٣ يوليه ترفض ان تتخلى عن امتيازاتها وسلطاتها ولو من اجل مصر الام ..

وقد بدأت عناصر جديدة متعلمة تدخل القوات المسلحة عملية اعادة بناء القوات المسلحة التى تبعثرت وانهارت نتيجة الهزيمة ، الا ان مثل هذه الاعمال لم ترق ابدا الى المستوى الذى كانت مصر تتطلع اليه وبالتخلص من مراكز القوى باشر السادات مهمة اعادة بناء القوات المسلحة كواحدة من اهم المهام التى تطلع الى تحقيقها ، لانها كانت الاداة التى ستقوده الى تحقيق استراتيجيته العسكرية والسياسية .. وكانت القوات المسلحة تحتاج الى الكثير

وكان امام الرئيس السادات الدروس المستفادة من معارك القوات المسلحة عام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ومعارك الاستنزاف ، وعمليات اليمن ، وتحركات القوات المسلحة الى ميادين اخرى مثل الكويت وسوريا والجزائر والكونغو .

اهم هذه الاحتياجات تمثلت فى استراتيجية واضحة :

اهداف عسكرية ممكنة التحقيق فى اطار هذه الاستراتيجية .. خطة جيدة .. قادة اكفاء .. ضباط وصف وجنود على مستوى عال من الكفاءة القتالية .. اسلحة ومعدات وذخيرة .. روح معنوية عالية .. معرفة جيدة بالعدو .. دراسة عميقة بمسارح العمليات المتوقعة

.. هلقاء عسكريون وسياسيون .. اعداد للمسرح السياسى العالمى والمحلى اعدادا جيدا قبل بدء العمليات .

وقد اعلن الرئيس السادات استراتيجية مصر السياسية العليا بوضوح وحدد استراتيجيتها العسكرية واصبح الهدف واضحا امام القادة العسكريين ، ان واجبهم اقتحام القناة واسترداد مساحة محددة من ارضنا المحتلة شرق القناة .

وكان هذا ايضا هدفا عسكريا ممكنا تحقيقه بالامكانيات المتاحة .

وكانت البداية يوم ١٩ اكتوبر ١٩٧٠ عندما دعا الرئيس الى اجتماع للمجلس الاعلى للقوات المسلحة ، اى بعد انتخابه رئيسا للجمهورية بخمسة ايام فقط ، واستمع الرئيس الى تقارير من كل القادة عن موقف كل الافرع الرئيسية للقوات المسلحة ، والموقف مقارنة بموقف اسرائيل .

ويوم ٣٠ ديسمبر حضر الرئيس اجتماعا للقادة وتحدث الفريق اول فوزى شارحا كل الاحتمالات وكان واضحا تركيزه الشديد على القدرات القتالية ، وقبل أن ينتهى الاجتماع طلب السادات من القادة الاستعداد لاستئناف العمليات العسكرية بالاسلحة المتوافرة . وخلال هذه المرحلة الح الرئيس عدة مرات أن اقتحام القوات المسلحة لقناة السويس واستعادتها ولو لعدة سنتيمترات شرق القناة سيغير من صورة الموقف تماما ..

وكانت هذه الافكار هى اهم خطوط البناء الفكرى للرئيس للعمل من اجل مصر ..

وكان الرئيس السادات حريصا على معرفة رد فعل مثل هذه الفكرة فى نفوس القادة ، وقبل ان يبدأ عام ١٩٧١ كان صراع السلطة قد بدأ ، مجموعة

الورثة التى مارست السلطان ترفض أن تفقد شيئا من مزايا الحكم المطلق والسلطات التى كانت لها .. والرئيس السادات ليس بالشخصية التى ترضخ للضغوط أو المناورات أو الشخصية التى تقبل بمثل تجاوزات الفترة التى سبقته وكان شاهدا عليها ..

واستقر رأى فريق الورثة فى ان يدفعوا الرئيس السادات لخوض تجربة القتال ضد اسرائيل، فى عملية حسبات منهم تقول: انه بذلك سيتورط وسيورط مصر معه ، وانه لن تتاح له الفرصة للالتفات لهم .. وبالتالى ستتاح لهم الفرصة لاعداد المسرح داخليا لتكون السلطة لهم كاملة ..

وفى ٤ فبراير انتهى اجل فترة وقف اطلاق النيران ، وقرر الرئيس السادات تمديد فترة وقف اطلاق النيران من جديد بل قدم مبادرة جديدة للوصول الى حل للمشكلة ..

وكان هذا خيطا ثانيا يوضح ابعاد الخيط الاول « العمل العسكرى لاقتحام القناة » .. اى ان الرئيس اوضح افكاره مبكرا .. يريد عملا عسكريا تتغير به موازين القوى عسكريا .. وبالمتاح للقوات المسلحة من اسلحة ومعدات .. ويريد الوصول الى حل لمشكلة الصراع العربى الاسرائيلى عن طريق العمل السياسى .. ولم يلتفت احد الى ذلك .. وبدلا من ان يعمد فريق الورثة أو ما اطلق عليهم مراكز القوى الى دراسة شخصية الرئيس وافكاره .. كانوا يتحركون بسرعة لتوريط مصر فى قتال ..

وخلال شهر مارس ١٩٧١ ، الموعد الذى اختارته مراكز القوى لبدء العمل العسكرى ، حاول الفريق اول محمد فوزى الحصول على توقيع الرئيس السادات على أمر للقوات المسلحة ، الا ان الرئيس تنبه لما يراد به وبمصر فرفض ونهر الفريق فوزى .. وفى ٢٣ مارس ١٩٧١ عقد الرئيس مؤتمرا عاما للضباط تحدث فيه عن محاولات فريق الورثة لدفع مصر للقتال ، قال : ان المعركة المقبلة معركة شعب ، وليست معركة القوات المسلحة ، ويجب علينا ان نحصل على التوازن الدقيق بين مزايا بدء المعركة الان وبين مزايا الانتظار ، وانني اعدكم بأننا لن نقدم ميعادا للمعركة يوما واحدا ، ولن نؤخرها يوما واحدا عن توقيتها الصحيح ..

وتسلم الحاضرون خريطة موضحا بها الاراضى التى تريد اسرائيل ان تتخلى عنها للعرب والاراضى التى ترفض اعادتها .. وعلق الرئيس السادات على هذه الخريطة .. بسؤال استنكارى وجهه للضباط: هل تريدون هذا الهوان؟ وكان الرد حماسيا من الجميع .. لا ..

ثم دخلت القوات المسلحة أولى مراحل التحديات ، وبذلت نشاطا هائلا وعملا مضنيا ، **ثم اجتمع المجلس الاعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات فى ٣ يونيو وكان اهم ما قاله خلال هذا الاجتماع ان القوات المسلحة مطالبة بالعمل فى حدود الامكانيات المتاحة لها .. قال بالنص : « لو انكم عبرتم القناة واستعدتم عشرة سنتيمترات فقط شرق القناة ،لا اقول ذلك طبعا للمبالغة ، فان ذلك سوف يفيد الموقف السياسى دوليا وعربيا » .. وكان هذا معناه الانتقال الى مرحلة وضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ ، انتهت مرحلة التلميح ..**

وبدأت مرحلة اخرى عملية وتنفيذية ، لاعداد خطط للعمليات المستقبلية ، وكل خطة ترتبط بأهداف وامكانيات ، ومع كل زيارة قام بها الرئيس السادات لموسكو ، وكل زيارة لمسئول سوفيتى للقاهرة، كانت الوعود باضافات جديدة لامكانيات القوات المسلحة تجعل الرجال

فى هيئة العمليات يبدأون من جديد .. وبالمقابل كل خطة كانت لها احتياجات معينة ، وتقدم كشوف الاحتياجات للمسئولين السوفيت فيماطلون ، ثم يطلبون ارسال وفد ، أو حضور وفد ، وتسافر الوفود وتأتى الوفود ، والاجابة لا .. لا نستطيع أن نفى بهذه الاحتياجات اما انها غير موجودة ، أو انهم لا يصنعونها ، أو يعانون متاعب فى صنعها ، أو انهم سيدرسونها بعناية.

وتتغير الخطط من جديد .. !

وعندما زار المارشال جريتشكو مصر فى ابريل عام ١٩٧٢ شارك مع فريق المستشارين السوفيت ورجال هيئة العمليات فى دراسة احتياجات واحدة من هذه الخطط ، وأكد بضرورة تلبية هذه المطالب .. وكانت النتيجة سلبية كما فى السابق .. **وكان السادات يخطط لتحرير ارادة مصر خارجيا بالتخلص من المستشارين والخبراء والقوات السوفيتية استكمالا لخطوة تحرير ارادة مصر داخليا .. عندما تخلص من مراكز القوى ..**

وقرر الرئيس فى ٨ يوليه طرد المستشارين والجنود السوفيت وكان عددهم قد وصل الى ٢٤ ألفا ، وكان وجودهم وانتشارهم من أسوان الى الاسكندرية ومرسى مطروح يهدد أمن مصر لوجودهم فى عدد من الموانى الرئيسية والمطارات الهامه ويمس سيادة مصر .

وكان وجودهم سيحول بين مصر وخوض القتال ، فلم يكن من الممكن ان تتجه القوات الى جبهة القتال وظهرها يستند الى هذا العدد الضخم من القوات السوفيتية كما ان وجود المستشارين السوفيت يعطى انطباعا بأن غيرنا يحارب لنا معركتنا ، وهذا يتناقض تماما مع افكار الرئيس السادات ..

واستقرت افكار المخططين على خطة نهائية ادخلت عليها عدة تعديلات فيما بعد تتلاءم مع مواقف واحتمالات استجدت

« وفى ميدان القادة الاكفاء تقرر الاستفادة بالخبرات والكفاءات العسكرية التى اضمحلت وطردت وشردت خلال الفترة السابقة على سبتمبر ١٩٧٠ » .

وكان هذا تغييرا له وزنه وأثره فى القوات المسلحة، بعد أن سادت معادلات الصراع على السلطة عند اختيار القادة فى المناصب ، مع معايير اخرى كلها بعيدة عن الموضوعية والبحث عن الاصلح

ولم تتوقف القوات عن التدريب على خطط العمليات ، لتجيد اداء واجباتها عند نشوب القتال وكمثال فان الذخيرة التى استهلكتها القوات الجوية خلال سنة من التدريب تعادل كل الذخيرة التى استهلكتها طوال الفترة من ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٧ ..

كان القادة يدركون ان المعركة قادمة ولم يكن احد يريد أن يكرر تجربة الماضى ..

وأعدت ميادين تدريب مماثلة لمسرح العمليات تماما سواتر ترابية ، قنوات مائية ، قواعد جوية ، قواعد دفاع جوى مواقع مماثلة لخط بارليف .. وسقط شهداء خلال مراحل التدريب .. ولم تسقط دمعة .. فوقت البكاء قد ولى .. وارتبط بذلك اعداد مسرح العمليات .. انشئت سواتر ترابية محاذية للقنال لتحقق عدة اهداف منها ،

اخفاء نشاط القوات غرب القناة عن اعين العدو .. استخدام عدة مواقع بهذه السواتر كمصاطب دبابات ومواقع للمدفعية لقصف قوات العدو شرق القناة ومنعها من التدخل ضد قواتنا ..

وضاقت كميات الاتربة والرمال بهذه السواتر حجم هرم خوفو عدة مرات .. بالاضافة الى المنشآت الخرسانية والمواقع المختلفة والقواعد الجوية

قواعد الدفاع الجوى ، التى انتشرت فى كل مكان ، استعدادا ليوم المعركة.

واستفادت مصر بخبرة رجالها خاصة العلماء منهم واصحاب الافكار الجيدة ، سواء فى التوصل الى اسلوب التجريف لشق الساتر الترابى شرق القناة أو لبناء كبارى عسكرية مصرية عندما تعذر الحصول عليها من السوفيت ، وعشرات اخرى من الابتكارات ..

وفى ميدان التسليح ، فان الهدف الواضح والخطط، حددت أوجه النقص وانشأ الاسلحة ، والمعدات التى لو توفرت لحققت نتائج أفضل .. ومن الاتحاد السوفيتى لم تتوقف مصر عن الطلب والالحاح .

أما الجديد ، فقد اتجهت مصر فورا للحصول على بعض ما تحتاجه .. وكانت هذه الخطوة هى بدايات سياسة تنويع مصادر السلاح ..

أما بالنسبة للروح المعنوية ، فقد كان الامر شاقا ، بل اكثر مشقة من توفير السلاح والمعدات واختبار القادة فان هذا يتعلق ويتصل بالبشر ، وكان واضحا أمام الرئيس انه لسنوات طويلة ، كانت معادلة الروح المعنوية تعتمد على الدفاع عن الاشتراكية والمكاسب وليس هناك انسان مستعد ان يذهب للموت اختيارا للدفاع عن مكاسب القادة والزعماء ، أو للدفاع عن شعارات لم تكن تعبيرا عن واقع .

ان ما يدفع الانسان للموت ايمانه العميق بمثل اعلى ، وهنا على هذه الارض ليس افضل من معادلة الله ، والوطن . وكان هذا هو المدخل الحقيقى لعقل وقلب كل مقاتل .. وكان ذلك ايضا بداية ترسيخ للقيم والمثل العليا فى جميع اوساط القوات المسلحة ، والقاعدة لخلق جو الثقة بين الجنود والقادة .. وكانت الروح الجدية التى تسود ، عاملا لترسيخ مفاهيم جديدة ساعدت ايضا فى تحقيق هذا الهدف .

وكانت معرفة العدو من اهم ماتسعى اليه القيادة ، دراسات وابحاث تعتمد على مصادر جيدة ودقيقة للمعلومات وتحليل لكل ما يصدر عن العدو

وبعد ان حرر الرئيس السادات ارادة مصر داخليا وخارجيا .. كانت الخطوة التالية ، وكان قرار الحرب ..

ونجحت القوات المسلحة فى تحقيق الاهداف المخططة كاملا ..

عبده مباشر